الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2349 - السنة الثامنة
الأحد 16 ربيع الأول 1437 - الموافق 27 ديسمبر 2015
Sunday 27 December 2015 - No.2349 - 8th Year

أمر الله نبيه أن يعلم الناس التصديق بها كلها

المسلمون يؤمنون بكل الكتب السماوية .. والأنبياء

أنزل الله سبحانه وتعالى على عدد من الأنبياء كتبا من عنده، تكون دستورا للأمم التي بُعثوا لها، فنزلت التوراة على موسى عليه السلام حقا، والزبور على داود عليه السلام حقا، والإنجيل على عيسى عليه السلام حقا، وأنزلت الصحف على إبراهيم وموسى عليهما السلام حقا، وأنزل خاتم الكتب: القرآن الكريم، على خاتم الأنبياء والمرسلين: محمد -صلى الله عليه وسلم-.

والواجب على العباد من كلّ أمة الإيمان بما أنزل الله من الكتاب على نبيّهم، واتباع ما فيه، والاحتكام إليه، كذلك الواجبُ عليهم أن يؤمنوا بما أنزل الله من الكتب الأخرى على الأنبياء الآخرين؛ لأن المنزل واحد -سبحانه وتعالى-، فلا معنى للكفر بالكتب الأخرى مادام أن من تكلم بها واحد، فالكفر بواحد منها هو كفرٌ بجميع الكتب، قال الله تعالى:«والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله» (البقرة:285)، فالله سبحانه وتعالى امتدح المؤمنين في هذا السياق لإيمانهم بالكتب السماوية بدرجة واحدة، لا يفرّقون بينها كما لا يُفرّقون بين الرسل من جهة الإيمان بهم.

والعمدة في ذلك هو قول الله تعالى: «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب» (الشورى:15)، فالله جل جلاله قد أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يُعلم الناس بإيمانه بالكتب السماويّة كلها، وتفهم ذلك من التعبير القرآني: «كتاب» فهو اسم جنس يعمّ جميع تلك الكتب دون تفريق بينها، وهذا ما فهمه حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما من هذه الآية فقال: «لأسوي بينكم في الدّين، وآمن بكل كتاب وكل رسول».

والتفريق بين الكتب السماوية هو تفريق بين الرسالات، وبين المرسَلين، بالرغم من أن الذي أرسلهم واحد، ولذلك كان الإيمان الشامل بهذه الكتب هو العقيدة التي ينبغي أن يرتكز عليها المؤمن، ولا يُقبل منه سواها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون× فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة: 136-137) .

وكذلك في سورة آل عمران: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (آل عمران: 84)، فالموضعان القرآنيّان يُشدّدان على ضرورة الإيمان بهذه الكتب جميعا دون التفريق بينها، وجعل هذه المنظومة الإيمانيّة هي سبيل الهُدى الأوحد، الموصل إلى رضوان الله وغفرانه: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ (البقرة: 139)، والإخلال بهذه العقيدة بل بجزء منها، مجافاة لصراط الله المستقيم، ومحادّة لله ورسوله، فعاقبتها الشقاق والاختلاف، والتنازع والافتراق، ومجانبة للحق، فالواجب هو الإيمان بجميع الكتب التي أرسلها الله على أنبيائه وعدم التفريق بينها.

ومواطن ذم اليهود في نصوص الوحيين كثيرة، وباني من ضمنها: مسلكهم في الإيمان ببعض ما أنزل الله من الكتاب والكفر بما أنزل على غيرهم من الأنبياء، وبذلك كفروا بالقرآن الكريم ولم يقبلوا به، قال الله تعالى ذامّا لهم: ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ (البقرة:91)، وقد بيّن الإمام ابن القيّم وجه الاستدلال من هذه الآية فقال: «هذه حكاية مناظرة بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين اليهود لما قال لهم: آمنوا بما أنزل الله، فأجابوه بأن قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، ومرادهم التخصيص، أي: نؤمن بالمنزل علينا غيره، فظهرت عليهم الحجة بقولهم هذا من وجهين:

أحدهما:أنه إن كان إيمانكم به لأنه حق فقد وجب عليكم أن تؤمنوا بما أنزل على محمد، لأنه حق مصدق لما معكم، وحكم الحق الإيمان به أين كان، ومع من كان، فلزمكم الإيمان بالحقين جميعا أو الكفر الصريح، ففي ضمن هذا الشهادة عليهم بأنهم لم يؤمنوا بالحق الأول، ولا بالثاني.

وهذا الحكم في كل من فرق الحق، فآمن ببعضه، وكفر ببعضه، كمن آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض، وكمن آمن ببعض الأنبياء، وكفر ببعض، لم ينفعه إيمانه حتى يؤمن بالجميع».

وما ذكره ابن القيم حق، فإن التفريق بين الرسل وما أرسلوا به، هو كفرٌ بما أرسلوا له من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، لا سيما أن الأصول الاعتقاديّة وأصول الشرائع واحدة، فما وجه التفريق بينها في مسألة الإيمان؟

من هنا ندرك أن قول النصارى: نؤمن بأن القرآن كتابٌ منزّل، ولكنه خاصّ بالعرب! هو كفرٌ بواح لا تنفع معه هذه الحيدة أو المحاولة الفاشلة في قلب الحقائق؛ فإن الإيمان بأن القرآن كتاب سماوي أنزل من عند الله، هو إيمانٌ بصدق كل ما جاء فيه، فإذا كانت الآيات تدعو فتقول: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران:31)، وتقرّر الحقيقة فتقول: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: 107)، وهذا النبي الذي جاء الأمر باتباعه يقول: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم، كان مجموع هذه الأدلة وغيرها يهدم هذه النظريّة المتهافتة التي يُحاول أن يروّجها النصارى هذه الأيام طمعا في إيقاف انتشار الإسلام، ولكن هيهات أن ينطلي مثل ذلك على من آتاه الله بصيرة وهدى، لأن شعاره في حياته وبعد مماته: « نؤمن بكل ما أنزل الله من كتاب» أيا كان ذلك الكتاب.

«وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

.. اللطيف

من أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة : « اللطيف » ، قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك/14 ، وقال عز وجل: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيرا) الأحزاب/34.

ولهذا الاسم معنيان عظيمان:

الأول : أن الله يعلم دقائق الأمور وخفاياها ، وما في الضمائر والصدور .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي شارحا بمعنى هذا الاسم : « الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا ، والخبايا ، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور » .

انتهى من «تفسير أسماء الله الحسنى» للسعدي (ص: 225) ، المعنى الثاني : أن الله تعالى يحسن إلى عباده من حيث لا يحتسبون .

قال الزجاج : « وهو في وصف الله يُفيد أنه المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون » .

انتهى « تفسير أسماء الله الحسنى » للزجاج (ص: 44).

فإذا يسر الله لعبده طريق الخير وأعانه عليه : فقد لطف به .

وإذا دفع عنه السوء والمكروه : فقد لطف به .

وإذا هداه من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي ، إلى نور العلم والإيمان والطاعة : فقد لطف به .

وإذا قيض الله له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد : فقد لطف به .

فمن لطفه : أن يسوق عبده إلى الخير ، ويعصمه من الشر ، بطرق خفية لا يشعر العبد بها ، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه ، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات ، وارفع المنازل.

« ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه السلام تلك الأحوال ، وتطورت به الأطوار من رؤياه ، وحسد إخوته له ، وسعيهم في إبعاده جدا ، واختصاصهم بأبيهم ثم محنته بالنسوة ثم بالسجن .

ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة ، وانفراده بتعبيرها ، وتبوئه من الأرض حيث يشاء ، وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء والامتحان.

ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار وإزالة الأكدار وصلاح حالة الجميع والاجتباء العظيم ليوسف : عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها لطف لطف الله لهم به فقال: (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) أي لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلا لذلك وأهلا له ، فلا يضعه إلا في محله ، فالله أعلم حيث يضع فضله .

فإذا رأيت الله تعالى قد يسر العبد لليسرى ، وسهل له طريق الخير ، وذلل له صعابه ، وفتح له أبوابه ، ونهج له طرقه ، ومهد له أسبابه ، وجنبه العسرى : فقد لطف به » .

انتهى من تفسير أسماء الله الحسنى» للسعدي (ص: 227).

ومن لطفه بعباده : أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم ، لا بحسب مراداتهم ، فقد يريدون شيئا وغيره أصلح لهم ، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفا بهم ، وبرا إحسانا (اللهُ لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز).

ومن لطفه بهم : أنه يقدر عليهم أنواع المصائب ، وضروب المحن والابتلاء رحمة بهم ولطفا ، وسوقا إلى كمالهم ، وكمال نعيمهم (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

ومن لطف الله تعالى بعبده : أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته ، ويعلم الله تعالى أنها تضره وتصده عما ينفعه ، فيحول بينه وبينها ، فيظل العبد كارها ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع وصرف عنه الأمر الضار .

قال ابن القيم : « واسمه اللطيف يتضمن : علمه بالأشياء الدقيقة ، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية » انتهى من « شفاء العليل » (ص: 34) .

وقال في « الكافية الشافية » (ص: 179) :

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزّته ويُبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

وقد أفاض الشيخ عبد الرحمن السعدي في بيان صور وحالات من لطف الله بعباده في رسالته « تفسير أسماء الله الحسنى » (ص: 225) .

حديث قدسي

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا بن آدم، مرضت فلم تعدني. قال يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم النبي ، استطعمتك فلم تطعمني . قال ك يا رب ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟. قال : أما علمت انك لو استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ز يا بن آدم ، استسقيتك فلم تسقني. قال : يا رب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)) رواه مسلم .

من فضائل القرآن

فضل سورة الواقعة

لسورة الواقعة العديد من الفضائل، فقد ورد في فضلها العديد من الأحاديث والآثار ومنها حديثُ عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله (صلى): «من قرأ كل ليلة (إذا وقعت الواقعة) لم يصبه فقرٌ أبدا، ومن قرأ كل ليلة (لا أقسم بيوم القيامة) لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر». أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (36/ 444) من طريق أحمد بن محمد بن عمر بن يونس عن عمرو بن يزيد عن محمد بن الحسن عن منذر الأقطس عن وهب بن منبه عن ابن عباس .

كما ورد في فضلها، حديثُ عثمان بن عفان لابن مسعود: ألا آمر لك بعطائك ؟ قال: لا حاجة لي به. قال: يكون لبناتك. قال: إني قد أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة؛ فإني سمعت رسول الله يقول: «من قرأ كل ليلة أو قال في كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» قال السّريّ بن يحيى -أحد رواة الحديث-: وكان أبو فاطمة – مولىً لعلي؛ ويُروى أبو طيبة وأبو ظبْية- لا يدعها كل ليلة.

وحديثُ أبي بكر الصديق قال: يا رسول الله: قد شِبْتَ! فقال رسول الله : «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت». أخرجه الترمذي في سننه (3297)

وحديثُ جابر بن سمرة قال: كان رسول الله يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور. أخرجه ابن خزيمة (531) وابن حبان (1813) والحاكم في المستدرك (240/1)

وعن عائشة أنها قالت للنساء: «لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة». أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (258) بإسناد منقطع.

وحديثُ أنس بن مالك قال: قال رسول الله :«علموا نساءكم سورة الواقعة؛ فإنها سورة الغنى». ذكره الديلمي في مسند الفردوس (3/ 10) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (6/ 153) إلى ابن مردويه في تفسيره بلفظ:«سورة الواقعة سورة الغنى؛ فاقرؤوها وعلموها أولادكم».

وفي ثواب الأعمال عن أبي جعفر قال : (من قرأ الواقعة كل ليلة قبل أن ينام لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر) .